مدار الوطن
٣٦
وجوب
الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر
لسماحة الشيخ
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - ت/ ٤٧٩٢٠٤٢ - ف/ ٤٧٢٣٩٤١

المقدمة

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنّ من أهم المهمات وأفضل القربات. **التناصح والتوجيه إلى الخير**، والتواصي بالحقّ والصبر عليه، والتحذير مما يخالفه ويُغضب الله عز وجل ويباعد من رحمته، وأسأله عز وجل أن يصلح قلوبنا، وأعمالنا، وسائر المسلمين، وأن يمنحنا الفقه في دينه، والثّبات عليه، وأن ينصر دينه، ويُعْلي كلمته، وأن يصلح جميع ولاة أمور المسلمين ويوفقهم لكل خير ويُصلح لهم البطانة، ويعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد، ويمنحهم الفقه في الدين، ويشرح صدورهم لتحكيم شريعته، والاستقامة عليها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أيها المسلمون:

* إن موضوع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، موضوع عظيم، جدير بالعناية لأن فيه تحقيق مصلحة الأمة ونجاتها، وفي إهماله الخطر العظيم والفساد الكبير، واختفاء الفضائل وظهور الرذائل.

وقد أوضح الله جل وعلا في كتابه العظيم، منزلته من الإسلام، وبين سبحانه أن منزلته عظيمة، حتى أنه سبحانه في بعض الآيات قدمه على الإيمان، الذي هو أصل الدين وأساس الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولا نعلم السرّ في هذا التقديم، إلا عظم شأن هذا الواجب، وما يترتب عليه من المصالح العظيمة العامة، ولا سيما في هذا العصر، فإن حاجة المسلمين وضرورتهم إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر شديدة، لظهور المعاصي وانتشار الشرك والبدع، في غالب المعمورة.

وقد كان المسلمون في عهده ﷺ وعهد أصحابه وفي عهد السلف الصالح، يُعظّمون هذا الواجب، ويقومون به خير قيام، فالضرورة إليه بعد ذلك أشدّ وأعظم، لكثرة الجهل، وقلة العلم، وغفلة الكثير من الناس عن هذا الواجب العظيم.

* وفي عصرنا هذا صار الأمر أشدّ، والخطر أعظم، لانتشار الشرور والفساد، وكثرة دعاة الباطل، وقلة دعاة الخير، في غالب البلاد كما تقدّم.

ومن أجل هذا أَمَرَ الله سبحانه وتعالى به، ورغّب فيه، وقدّمه في آية آل عمران على الإيمان، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

يعني أمّة محمد ﷺ فهي خير الأمم وأفضلها عند الله، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل**»

لماذا بعث الله الرسل؟

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر موجود في الأمم السابقة، بعث الله به

الرُّسل وأنزل به الكتب.

وأصل المعروف: توحيد الله والإخلاص له.

وأصل المنكر: الشرك بالله وعبادة غيره.

وجميع الرُّسل بُعثوا يدعون الناس إلى توحيد الله، الذي هو أعظم المعروف، وينهون الناس عن الشرك بالله، الذي هو أعظم المنكر.

ولما فرط بنو إسرائيل في ذلك، وأضاعوه، قال الله جل وعلا في حقهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨﴾ [المائدة: ٧٨].

ثمّ فسر هذا العصيان فقال سبحانه: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩].

فجعل هذا من أكبر عصيانهم واعتدائهم، وجعله التفسير لهذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]. **وما ذلك إلا لعظم الخطر في ترك هذا الواجب.**

وأثنى الله جل وعلا على أمة في ذلك منهم، فقال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٤ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝١١٥﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥].

هذه طائفة من أهل الكتاب لم يصبها ما أصاب الذين ضيعوه، فأثنى الله عليهم سبحانه وتعالى في ذلك.

وفي آية أخرى من كتاب الله عزوجل في سورة التوبة، قدم سبحانه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وما ذلك إلا لعظم شأنه.

لأي معنى قدّم هذا الواجب؟:

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **فرض كفاية**، ومع ذلك قدّمه في هذه الآية على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة: ٧١].

فقدم هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إقامة الصلاة، مع أن الصلاة عمود الإسلام، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، **فلأي معنى قُدّم هذا الواجب؟**

* لا شك أنه قُدّم لعظم الحاجة إليه، وشدة الضرورة إلى القيام به.
* ولأن بتحقيقه تصلح الأمة، ويكثر فيها الخير، وتظهر فيها الفضائل، وتختفي منها الرذائل، ويتعاون أفرادها على الخير، ويتناصحون ويُجاهدون في سبيل الله، ويأتون كل خير ويذرون كل شرّ.
* وبإضاعته والقضاء عليه تكون الكوارث العظيمة، والشرور الكثيرة، وتفترق الأمة، وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، وتختفي الفضائل، ويهضم الحق ويظهر صوت الباطل، وهذا أمر واقع في كل مكان، وكل

دولة وكل بلد، وكل قرية لا يؤمر فيها بالمعروف، ولا ينهى فيها عن المنكر، فإنه تنتشر فيها الرذائل، وتظهر فيها المنكرات، ويسود فيها الظلم والفساد. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أهل الرحمة:

وَبيَّنَ سبحانه أن الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والمقيمين للصلاة، والمؤتين للزكاة، والمطيعين لله ولرسوله، هم أهل الرحمة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [التوبة: ٧١].

فدلَّ ذلك على أن الرحمة، إنما تُنال بطاعة الله؛ واتباع شريعته، ومن أخصّ ذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

* ولا تنال الرحمة بالأماني، ولا بالأنساب، ككونه من قريش، أو من بني هاشم، أو من بني فلان.

* ولا بالوظائف، ككونه ملكاً أو رئيساً لجمهورية أو وزيراً أو غير ذلك من الوظائف.

* ولا تنال أيضاً بالأموال والتجارات، ولا بوجود كثرة المصانع.

ولا بغير هذا من شؤون الناس.

وإنما تنال الرحمة بطاعة الله ورسوله، واتباع شريعته.

ومن أعظم ذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، في كل شيء، فهؤلاء هم أهل الرحمة، وهم الذين في الحقيقة يرجون رحمة الله، وهم الذين في الحقيقة يخافون الله ويعظمونه.

فما أظلم من أضاع أمره، وارتكب نهيه، وإن زعم أنه يخافه ويرجوه.

وإنما الذي يعظم الله حقًّا، ويخافه ويرجوه حقًّا، من أقام أمره واتبع شريعته، وجاهد في سبيله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فجعلهم سبحانه راجين رحمة الله، لما آمنوا وجاهدوا وهاجروا، لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم، ما قال:

إن الذين بنوا القصور.

أو الذين عظمت تجاراتهم أو تنوعت أعمالهم.

أو الذين ارتفعت أنسابهم!

هم الذين يرجون رحمة الله.

بل قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فرجاء الرحمة وخوف العذاب، يكونان بطاعة الله ورسوله، ومن ذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ولتكن منكم أمة:

وفي آية أخرى حصر سبحانه الفلاح، في الدعاة إلى الخير والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، فقال عز وجل: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فأبان سبحانه أن هؤلاء الذين هذه صفاتهم، وهي:

الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هم المفلحون.
والمعنى أنهم هم المفلحون على الكمال والتمام، وإن كان غيرهم من المؤمنين مفلحاً، إذا تخلى عن بعض هذه الصفات لعذر شرعي، لكن المفلحون على الكمال والتمام هم هؤلاء الذين دعوا إلى الخير، وأمروا بالمعروف وبادروا إليه، ونهوا عن المنكر وابتعدوا عنه.

* **أما الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، لأغراض أخرى**، كرياء وسمعة، أو خطر عاجل، أو أسباب أخرى، أو يتخلفون عن فعل المعروف، ويرتكبون المنكر، فهؤلاء من أخبث الناس، ومن أسوئهم عاقبة.

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه** - أي أمعاؤه - **فيدور في النار، كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: ما لك يا فلان؟! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول لهم: بلى! ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه!!**».

هذا حال من خالف قوله فعله - نعوذ بالله - تسعر به النار ويُفضح على رؤوس الأشهاد، يتفرج عليه أهل النار، ويتعجبون كيف يلقى في النار؟ ويدور في النار كما يدور الحمار بالرحى، وتندلق أقتاب بطنه، يسحبها لماذا؟!

لأنه كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه.
وينهى عن المنكر ويأتيه.

فعلم بذلك أن المقصود الأمر بالمعروف مع فعله، والنهي عن المنكر مع تركه، وهذا هو الواجب على كل مسلم.

وهذا الواجب العظيم أوضح الله شأنه، في كتابه الكريم، ورغب فيه، وحذر من تركه، ولعن من تركه.

فالواجب على أهل الإسلام: أن يعظموه، وأن يُبادروا إليه، وأن يلتزموا به طاعة لربهم عز وجل، وامتثالاً لأمره، وحذراً من عقابه سبحانه وتعالى.

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد جاءت سنة رسول الله ﷺ تؤيد هذا الأمر وتبين ذلك أعظم بيان، وتشرحه، فيقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» (أخرجه الإمام مسلم في صحيحه).

فبين ﷺ مراتب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الثلاث:

المرتبة الأولى:

الإنكار باليد مع القدرة، وذلك بإراقة أواني الخمر، وكسر آلات اللهو، ومنع من أراد الشر بالناس وظلمهم من تنفيذ مراده، إن استطاع ذلك كالسلطان ونحوه، من أهل القدرة، وكإلزام الناس بالصلاة، وبحكم الله الواجب اتباعه ممن يقدر على ذلك إلى غير هذا مما أوجب الله.

وهكذا المؤمن مع أهله وولده، يلزمهم بأمر الله، ويمنعهم مما حرّم الله، باليد إذا لم ينفع فيهم الكلام.

وهكذا من له ولاية من أمير أو محتسب، أو شيخ قبيلة أو غيرهم، ممن له ولاية من جهة ولي الأمر، أو من جهة جماعته، حيث ولوه عليهم، عند فقد الولاية

العامة، يقوم بهذا الواجب حسب طاقته.

المرتبة الثانية:

وهي اللسان يأمرهم باللسان، وينهاهم، كأن يقول: يا قوم اتقوا الله، يا إخواني اتقوا الله، صلُّوا وأدوا الزكاة، اتركوا هذا المنكر، افعلوا كذا، دعوا ما حرّم الله، برّوا والديكم، صِلُوا أرحامكم، إلى غير هذا، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر باللسان. ويعظهم ويذكرهم، ويتحرى الأشياء التي يفعلونها حتى ينبههم عليها.

ويعاملهم بالأسلوب الحسن، مع الرفق، يقول ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»، ويقول ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولاينزع من شيء إلا شانه**»

وجاء جماعة من اليهود فدخلوا عليه ﷺ فقالوا: «السام عليك يا محمد - يعنون الموت، وليس مرادهم السلام - فسمعتهم عائشة - رضي الله عنها -، قالت: عليكم السام واللعنة. وفي لفظ آخر: ولعنكم الله، وغضب عليكم. فقال رسول الله ﷺ: **مهلا يا عائشة، إن الله رفيق يحبُّ الرفق في الأمر كله. قالت: ألم تسمع ما قالوا؟! قال: ألم تسمعي ما قلت لهم؟ قلت لهم: وعليكم، فإنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا**».

هذا وهم يهود رفق بهم ﷺ، لعلهم يهتدون، ولعلهم ينقادون للحق، ولعلهم يستجيبون لداعي الإيمان.

فهكذا الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر الموفق، يتحرى الرفق والعبارات المناسبة والألفاظ الطيبة عندما يمر على من قصَّر في ذلك في المجلس، أو في الطريق، أو في أي مكان يدعوهم بالرفق والكلام الطيب، حتى ولو جادلوه في شيء خفي عليهم، أو كابروا فيه، يجادلهم بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

من هم أهل الكتاب؟ هم اليهود والنصارى، وهم كفار، ومع ذلك يقول الله عنهم: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والمعنى أن من ظَلَمَ منهم، وتعدّى وأساء الكلام، فإنه ينتقل معه إلى علاج آخر غير الجدال بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لكن ما دام المقام مقام تعليم ودعوة وإيضاح للحق، فإنه يكون بالتي هي أحسن، لأن هذا أقرب إلى الخير، قال سفيان الثوري رحمه الله: «ينبغي للآمر والناهي أن يكون رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، عدلاً فيما يأمر به، عدلاً فيما ينهى عنه، عالماً بما يأمر به، عالماً بما ينهى عنه».

وهذا معنى كلام السلف رحمهم الله. تحري الرّفق مع العلم والحلم والبصيرة، لا يأمر ولا ينهى إلا عن علم، لا عن جهل، ويكون مع ذلك رفيقاً عاملاً بما يدعو إليه، تاركاً ما ينهى عنه، حتى يقتدى به.

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من نبيّ بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

وهذا الحديث مثل حديث أبي سعيد السابق، المتضمن الإنكار باليد، ثم باللسان ثم بالقلب.

فالخلوف التي تختلف بعد الأنبياء هذا حكمهم في أممهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعلمون أحكام الله، ويجاهدون في ذلك باليد، ثم باللسان ثم بالقلب.

وهكذا في أمة محمد ﷺ يجب على علمائهم وأمرائهم وأعيانهم وفقهائهم، أن يتعهدوهم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل وإرشاد الضال، وإقامة الحدود والتعزيرات الشرعية، حتى يستقيم الناس ويلزموا الحق، ويقيموا عليهم الحدود الشرعية، ويمنعوهم من ارتكاب ما حرم الله.

وقد ثبت عن عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة الراشد أنه قال: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» ويروى عن عمر رضي الله عنه أيضاً.

وهذا صحيح، فكثير من الناس لو جئته بكل آية، لم يمتثل، لكن إذا جاءه وازع السلطان بالضرب والسجن ونحو ذلك أذعن، وترك باطله.. لماذا؟

لأن قلبه مريض، ولأنه ضعيف الإيمان، أو معدوم الإيمان، فلهذا لا يتأثر بالآيات والأحاديث.. لكن إذا خاف من السلطان ارتدع، ووقف عند حدّه، ووازع السلطان له شأن عظيم.

ولهذا شرع الله لعباده القِصاصَ والحدود والتعزيرات، لأنها تردع عن الباطل وأنواع الظلم، ولأن الله يقيم بها الحق، فوجب على ولاة الأمور أن يقيموها، وأن يعينوا من يقيمها، وأن يلاحظوا الناس، ويلزموهم بالحق، ويوقفوهم عند حدّهم حتى لا يهلكوا، وينقادوا مع تيار الباطل، ويكونوا عوناً للشيطان وجنده علينا.

المرتبة الثالثة:

إذا عجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان انتهى إلى القلب، يكره المنكر بقلبه، ويبغضه ولا يكون جليساً لأهله.

وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال له بعض الناس: «هلكت إن لم آمر بالمعروف، وأنهَ عن المنكر، فقال له رضي الله عنه: هلكت إن لم يعرف قلبك المعروف وينكر المنكر».

رد الدعاء وعدم النصر:

ومما يتعلق بموضوعنا: موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما ورد في الحديث أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**يقول الله عز وجل: مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم، وقبل أن تسألوني فلا أعطيكم، وقبل أن تستنصروني فلا أنصركم**».

وفي لفظ آخر من حديث حذيفة، يقول عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم**

عقاباً من عنده ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم» . (رواه الإمام أحمد) .

فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من المهمات العظيمة كما سبق .

وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وأبي داود والترمذي، يقول عليه الصلاة والسلام: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا فجالسوهم وآكلوهم وشاربوهم، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم ببعض، ثم لعنهم على لسان أنبيائهم: داود وعيسى ابن مريم:** ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٦١﴾ [البقرة: ٦١] .

وفي لفظ آخر: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تفعل من المعاصي، ثم يلقاه في الغد فلا يمنعه ما رآه منه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، ثم لعنهم**» .

فعلينا أن نحذر من أن يصيبنا ما أصاب أولئك .

وقد جاء في بعض الأحاديث أن إهمال هذا الواجب، وعدم العناية به ـ أعني واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ من أسباب رد الدعاء وعدم النصر كما تقدم .

ولا شك أن هذه مصيبة عظيمة من عقوبات ترك هذا الواجب، أن يُخْذَلَ المسلمون، وأن يتفرقوا، وأن يسلط عليهم أعداؤهم، وأن لا يستجاب دعاؤهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد يكون هذا الواجب فرض عين على بعض الناس، إذا رأى المنكر، وليس عنده من يزيله غيره، فإنه يجب عليه أن يزيله مع القدرة، لما سبق من قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» (أخرجه مسلم في صحيحه) .

أما إن كانوا جماعة، فإنه يكون في حقهم فرض كفاية في البلد أو القرية أو القبيلة، فمن أزاله منهم حصل به المقصود، وفاز بالأجر، **وإن تركوه جميعاً أثموا، كسائر فروض الكفايات.**

وإذا لم يكن في البلد أو القبيلة إلا عالم واحد، وجب عليه عيناً أن يعلِّم الناس، ويدعوهم إلى الله، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، حسب طاقته، لما تقدم من الأحاديث، ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] .

الصبر والاحتساب:

ومن وَفَّقهُ الله للصبر والاحتساب من العلماء والدعاة، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والإخلاص لله، نجح ووفق، وهدى ونفع الله به، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] .

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤] .

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧] .

وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر ١-٣].

فالرابحون الناجون في الدنيا والآخرة، هم أهل الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

ومعلوم أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، من جملة التقوى، ولكن الله سبحانه خصها بالذكر، لمزيد من الإيضاح والترغيب.

والمقصود أن من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ودعا إلى الله وصبر على ذلك، فهو من أهل هذه الصفات العظيمة، الفائزين بالربح الكامل والسعادة الأبدية إذا مات على ذلك.

ومما يؤكد الالتزام بهذه الصفات العظيمة، قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

التفقه في دين الله:

فلابد يا أخي المسلم أن تعرف المعروف بالتعلم والتفقه في الدين، ولابد أن تعرف المنكر بذلك، ثم تقوم بالواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالتبصر والتفقه في الدين من علامات السعادة، ودلائل أن الله أراد بالعبد خيراً، كما في الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**».

فإذا رأيت الرجل يتبع حلقات العلم، ويسأل عن العلم، ويتفقه ويتبصر فيه، فذلك من علامات أن الله أراد به خيراً فليلزم ذلك، وليجتهد ولا يمل ولا يضعف، يقول عليه الصلاة والسلام، في الحديث الصحيح: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة**». (رواه الإمام مسلم في صحيحه).

فطلب العلم له شأن عظيم، ومن الجهاد في سبيل الله، ومن أسباب النجاة والدلائل على الخير، ويكون بحضور حلقات العلم، ويكون بمراجعة الكتب المفيدة، إذا كان ممن يفهمها، ويكون بسماع الخطب والمواعظ، ويكون بسؤال أهل العلم.. كل ذلك من الطرق المفيدة.

ويكون أيضاً بحفظ القرآن الكريم، وهو الأصل في العلم، فالقرآن الكريم رأس كل علم، وهو الأساس العظيم، وهو حبل الله المتين، وهو أعظم كتاب وأشرف كتاب، وهو أعظم قائد إلى الخير، وأعظم ناهٍ عن الشر.

فوصيتي لكل مؤمن، ولكل مؤمنة، العناية بالقرآن الكريم، والإكثار من تلاوته، والحرص على حفظه، أو ما تيسر منه، مع التدبر والتعقل، ففيه الهُدى والنور، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال عز من قائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

فعلينا أن نعنى بكتاب الله تلاوة وحفظاً، وتدبراً وتفقهاً، وعملاً، وسؤالاً عما أشكل.

وهكذا سنة الرسول ﷺ هي الوحي الثاني، وهي الأصل الثاني، وهي المفسرة

لكتاب الله والدالة عليه .

فعلى طالب العلم ، وعلى كل مسلم أن يعني بذلك حسب طاقته ، وحسب علمه ، بالحفظ والمراجعة ، كحفظ «**الأربعين النووية**» ، وتكملتها لابن رجب خمسين حديثاً ، وهي من أجمع الأحاديث وأنفعها ، وهي من جوامع الكلم ، فينبغي حفظها للرجل والمرأة .

ومثل ذلك «عمدة الحديث» للحافظ عبدالغني المقدسي ، كتاب عظيم جمع أربعمائة حديث وزيادة يسيرة ، وهو من أصح الأحاديث في أبواب العلم ، فإذا تيسر حفظها فذلك من نعم الله العظيمة .

وهكذا «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر ، كتاب عظيم مختصر ، ومفيد محرر ، فإذا تيسر لطالب العلم حفظه فذلك خير عظيم .

ومما يتعلق بكتب العقيدة : كتابان جليلان للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هما : «كتاب التوحيد» وكتاب «كشف الشبهات» .

ومن كتب العقيدة المهمة كتاب «العقيدة الواسطية» ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو كتاب جليل ، مختصر عظيم الفائدة في مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة .

«كتاب الإيمان» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، كتاب عظيم جمع فيه جملة من الأحاديث المتعلقة بالإيمان .

فينبغي لطالب العلم وطالبة العلم أن يحفظا ما تيسر من هذه الكتب المفيدة وأشباهها مع العناية بالقرآن الكريم ، والإكثار من تلاوته وحفظه ، أو ما تيسر منه كما تقدم ، ومع العناية بالمذاكرة مع الزملاء ، وسؤال المدرسين والعلماء الذين يعتقد فيهم الخير والعلم عما أشكل عليه ، ويسأل ربه التوفيق والإعانة ، ولا يضعف ولا يكسل ، ويحفظ وقته ، ويجعله أجزاء :

جزء من يومه وليله لتلاوة القرآن الكريم وتدبره .

وجزء لطلب العلم والتفقه في الدين ، وحفظ المتون ومراجعة ما أشكل عليه .

وجزء لحاجته مع أهله .

وجزء لصلاته وعبادته ، وأنواع الذكر والدعاء .

ومما يفيد طالب العلم وطالبة العلم فائدة عظيمة الاستماعُ لبرنامج **نور على الدرب** فهو برنامج مفيد لطالب العلم وعامة المسلمين وغيرهم . . لأن فيه أسئلة وأجوبة مهمة لجماعة من المشايخ المعروفين بالخير والعلم ، فينبغي العناية بهذا البرنامج واستماع ما فيه من فائدة ، وهو يذاع مرتين في كل ليلة بين المغرب والعشاء من نداء الإسلام والساعة التاسعة والنصف من إذاعة القرآن الكريم .

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يوفقنا وجميع المسلمين ، للعلم النافع ، والعملَ الصالح ، وأن يمنحنا الفقه في دينه ، والثبات عليه ، وأن يرزقنا جميعاً القيام بهذا الواجب ، حسب الطاقة والإمكان ، وأن يوفق ولاة أمور المسلمين للقيام بهذا الواجب ، والصبر عليه ، وأن يوفق من أسند إليه هذا الواجب ، أن يقوم به على خير ما يرام ، وأن يعين الجميع على أداء حقه ، والنصح له ولعباده ، إنه تعالى جواد كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .